مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 07/ العـدد: 01/ جوان (2023)، ص.722/715

وعي الذات الفاعلة في ترميم الأنساق الثقافية

Active self-awareness in the restoration of cultural formats

زلاط زهرة*
zallat.zohra@cuniv-tissemsilt.dz
جامعة تيسمسيلت
مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة
(الجزائر)

د. فتوح محمود
mahmoud.fettouh@gmail.com
جامعة تيسمسيلت
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/11/15 تاريخ القبول: 2023/05/11 تاريخ النشر: 2023/06/02

ملخص:

تهتم الدراسات النقدية المعاصرة بفكرة التعايش مع التعددية الثقافية، والتي تفتح بحد ذاتها آفاقا متغيرة فرضها الصراع المعرفي لمرحلة ما بعد الحداثة على واجهة الفكر الإنساني، وقد ساهمت النظرة التعددية هذه في تحولات جذرية اتسمت بالرؤية التقويضية المرتبكة، والتي تشكك بالمرجعيات الثقافية وتعلن القطيعة مع المسلمات المركزية، حيث تطالب بضرورة تهشيم أنساقها وتعرية أيديولوجياتها التي ظلت تمارس تأثيرها بالفكر الإنساني بكل تسليم ودونما رقابة. من أجل ذلك؛ ظهر على السطح وعي نقدي مخالف لما عهدناه من السنن والشرائع النقدية؛ يسلم القاري (الناقد) سلطة الحكم والتقويم اتجاه كل مركب ثقافي مضمر خلف الأدبي، ويطالبه بإعادة النظر بمنظومة مسلماته التي تبناها بوساطة إرثه الثقافي.

وقد أبانت هذه الدراسة عن ماهية الأنساق الثقافية المهيمنة، وأثرها على اللاوعي الجمعي، وفي البعد النقدي الذي يساهم فيه حضور (الذات الفاعلة) لمساءلة الثقافة بمختلف تمظهراتها، وبمدى قدرتها وحكمتها في ترميم الأنساق المهيمنة، في ظل غلبة الثقافة السائدة وطغيانها على اللاوعي الجمعي، وقد تمت الاستعانة بالمنهج الثقافي للبحث حول طبيعة مساءلة الذات للثقافة.

كلمات مفتاحية: الأنساق الثقافية، الذات الفاعلة، النقد الثقافي، اللاوعي الجمعي.

Abstract:

Contemporary critical studies are interested in the idea of coexistence with multiculturalism, which in itself opens up changing horizons imposed by the cognitive struggle of postmodernism on the interface of human thought. This pluralistic view has contributed to radical transformations characterized by a confused undermining vision, which questions cultural references and declares a break with the central postulates, demanding the need to shatter its formats and strip its ideologies that have been exerting their influence on human thought without censorship. For this reason, a critical awareness has appeared on the surface, contrary to what we have seen from the sunnahs and critical canons; the reader (critic) recognizes the authority of judgment and evaluation towards each

* المؤلف المرسل

cultural complex embedded behind the literary, and demands him to reconsider the system of his postulates adopted through his cultural heritage. This study has shown what the dominant cultural formats are, their impact on the collective unconscious, and the critical dimension in which the presence of the (active self) contributes to the accountability of culture in its various manifestations, and to the extent of its ability and wisdom in restoring the dominant bishops, in light of the predominance of the prevailing culture and its tyranny over the collective unconscious.the cultural approach has been used to research on the nature of self-accountability of culture.
Keywords:*Cultural systems, the active self, cultural criticism, the collective unconscious.*

مقدمة:

تستلزم القراءة الثقافية وعيا نقديا شاملا بالنص الأدبي، بعيدا عن الممارسة النقدية الكلاسيكية، حيث يشتغل النقد الثقافي حول الكشف عن مسوغات الخطاب وملابساته النسقية التي يحتفي بها العمل الإبداعي؛ وبهذا يتعدى الجمالي ليحيل إلى الدلالات المضمرة التي يختزنها ضمن تلافيق اللغة.

تحيط الثقافة بالفكر والتشكيلات البشرية حيث تصف أساليب المجتمعات في تأسيس قيمها التي يرثها الأفراد بشكل لاواعي، وتنغرس تلقائيا في بنية أفكارهم وسلوكياتهم، فالثقافة صناعة المجتمع ومرجعيته، وبهذا تعد خلفية النص دائم التفاعل والمفتوح على المستهلك الثقافي، تستمر وتتحول بفعل التراكمات لتشكل علامات مترابطة تختفي بالمركبات المادية والمعنوية للمجتمعات الإنسانية، حيث تشمل في صيغتها الأنثربولوجية على جملة "المعتقدات وقيمها"1.

وبهذا تحيل بوساطة الرموز الفنية العالقة إلى الجانب المظلم من المخيال البشري المتأصل في اللاوعي الجمعي، حيث يخزن هذا اللاوعي قيما ومعتقدات تؤسسها المجتمعات البشرية، والتي سرعان ما تتحول إلى رموز تعبيرية عن الممتلكات الذوقية والفكرية، كون الثقافة تجسد ذلك المركب المعنوي،الذي يسري فينا مسرى الحياة ويحدد طبائعنا وأمزجتنا السلوكية والفكرية.

بناءً على ما سبق: مما يتشكل النسق الثقافي وأين يتمركز ضمن حدود النص أو الخطاب ؟ هل هو كامن بالمنظومة اللغوية ؟ أم يفرضه وعي المؤلف؟أم يتحدد عبر ذائقة المستهلك الثقافي؟ هل تمارس الأنساق الثقافية هيمنتها على وعينا فعلا ؟ واذا كان كذلك : كيف يمكننا ترميمها؟ وما هي السبل المتبعة لتحقيق ذلك؟

من أجل ذلك؛ تروم هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن طبيعة تشكل الأنساق الثقافية، ودور (الذات الفاعلة) في تحديد معاييرها النقدية تجاه هيمنتها، وقد تم إتباع (المنهج الثقافي) بوصفه يهتم بنظرية الأنساق وفاعليتها الثقافية ضمن العمل الإبداعي،حيث يركز في إجراءاته على نقد المستهلِك الثقافي.

ـــ ماهيـة النسق الثقافي وسماته:

جرى استخدام (النسق) في الدراسات اللغوية والأدبية عموما كدلالة على مفهوم النظام. "النَسقُ من كل شيء:ما كان على نظام واحد،عام في الأشياء"2، و"كلامٌ نَسَقٌ:جاء على نظام واحد قد عُطف بعضه على بعض"3، وبهذا يشير المصطلح في عمومه على التنظيم والتتابع.

يعد (النسق الثقافي)من المصطلحات الشائعة بالدراسات النقدية المعاصرة، يكاد لا يختلف مفهومه عن مفهوم النظام،ينشطر إلى شقين:النسق/الثقافي، حدد الناقد (عبد الله الغذامي) استخداماته ضمن "الخطاب العام والخاص(...) وقد تأتي مرادفة لمعجم البنية (structure) أو معنى النظام (system) بحسب مصطلح دي سوسير"4، وقد نقل الباحث (كلود ليفي ستراوس/Claude Levi- Strauss) مفهوم النسق " إلى المحيط الثقافي في دراسته (الأنثروبولوجيا البنيوية 1958) قائلا بوجود نظام كلي أو عالمي سابق على الأنساق أو الأنظمة الفردية للنصوص، فظاهرة اللغة والثقافة ذات طبيعة واحدة "5، يحيل النسق إلى أجزاء مترابطة ومتكافئة وظيفيا، ويتسع هذا النظام الوظيفي ليعمل على شاكلة رموز ذهنية تشمل تلك الممارسات الإنسانية التي تتقمصها اللغة، باعتبارها ذات صبغة اجتماعية.

يعد (النسق الثقافي) من أهم ركائز (النقد الثقافي)،فهو يتضمن عند (فينست ليتش/V.Litch) "أبعاد النص كافة ومكونا لأسس تلقيه وتأويله وسبل التفاعل معه(...) إذ يشتغل النقد على أنظمة الخطاب الظاهرة والمضمرة "6، للكشف عنه، يتعمق (النسق الثقافي) بذلك ليشير إلى جملة التصورات والمفاهيم التي تحكم أداءنا اليومي بأدق تفاصيله؛وهكذا "تتشكل مفاهيمنا حول ما نراه وكيف نسير في هذا العالم وكيف نرتبط بالآخرين"7.

يقر علماء الإشارات (العلامات) بوجود شفرات ثقافية في كل مجتمع،وهي تركيبات خفية لا نكاد ندركها، تتشكل ضمن سلوكياتنا وتتجسد في (القيم الأخلاقية، الأحكام الجمالية، ومجموع العادات...)،تتحدد (الأنساق الثقافية) في كونها نظاما متوارثا عن طريق الممارسة اللاشعورية،من خلال التكرار واللغة، فالإنسان يولد ويعيش وفق عادات ثقافية تنعكس عبر سلوكه وأنماط تفكيره،وهذه النظم " بعضها كامن وبعضها ظاهر في أية ثقافة من الثقافات وتتفاعل في هذه النظم العلاقات المجازية عن التذكير والتأنيث الثقافيين والعرف والدين، والأعراف الاجتماعية والقيود السياسية والتقاليد الأدبية، والطبقة، وعلاقات السلطة التي تحدد المواقع الفاعلة للذوات.وهذه النظم ذات صلة وثيقة بإنتاج الخطاب الإبداعي والفكري وطرائق تلقيه"8، ومن هنا نلمس وجود صلة وثيقة مابين "المتوراث واللاوعي،وهو تداول من شأنه إقصاء الوعي وإزاحته،وإحلال اللاوعي الثقافي محله"9.

قدم (كليفورغيرتس/Clifford Geertz) مصطلح النسق الثقافي ليعالج به "الدين والإيديولوجيا"10، بوصفها نسقان ثقافيان يمتدان ليستوعبا التجربة الإنسانية وتصورات الأفراد وبذلك فإنهما يتحولان لنسقان مهيمنان،وعليه؛ فإن تصرفاتنا موجهة تلقائيا وفق ما يمليه علينا النسق الثقافي.

أما (تالكوت بارسونز/Talcott Parsons) يقدمه على أنه "نظام ينطوي على أفراد فاعلين تتحدد علاقاتهم بمواقفهم وأدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافيا في إطار هذا النسق، وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من البناء الاجتماعي"11، فبنية هذا النظام الاجتماعي تنسجم فيما بينها لتنتج عنه أنساقا فرعية (نسق ديني/ سياسي/ أيديولوجي...).

استخدم (روبرت شولز/Robert Schulze) مصطلح النسق الثقافي "في سياق تشديده على ضرورة قراءة النص في علاقته بالأنساق الثقافية للقيم، وهو يعني بذلك مفهوم الإيديولوجيا"12، فالنص الأدبي حمال أوجه،حيث يتداول القيم ضمن منظومة اللغة مستهدفةً وعي القارئ.

تكمن خطورة النسق الثقافي، في كونه يأتي مضمرا، يمارس تأثيره دون رقابة نقدية، فهو لا "يتبدى على سطح اللغة، ولكنه(...) تمكن مع الزمن من الاختباء وتمكن من اصطناع الحيل في التخفي"13، ومن ثم فإن الأنساق الثقافية ضاربة في عمق الذاكرة الجمعية للمجتمعات الإنسانية.

كما أن خاصية التخفي والتستر هذه تساهم في تمريرها لتتراكم على شكل ترسبات ذهنية تتكون عبر البيئة الثقافية، فهي " تعمل كبرامج تتحكم في الأفعال والأفكار المستقبلة لأبناء الجماعة الممثلة لهذا النسق الثقافي"14، يشير الباحث (إسماعيل خلباص) إلى أن هذه الترسبات تمارس سلطة من نوع خاص على الأفراد فهي حاضرة ضمن "فلتات الألسن والأقلام بصورة آلية، تشكل جزءا هاما من بنيتهم الذهنية والثقافية"15، فالمبدع وسيط بين الثقافة والمتلقي وهذا الأخير يعد بدوره ركنا مؤثرا في بعث فاعلية الثقافة "فإذا كانت الخطابات نتاجا لغويا لفكر الإنسان، وفكر الإنسان نتاجا للثقافة، فإن تداول رموز في صيغة مصطلحات وعبارات معينة، مرتهن بنشاطها الثقافي؛ لأن هذه الرموز تحقق فيها المجتمعات حياتها الواقعية؛ ومن تم تكتسب مصداقيتها لدى المتلقي"16.

ومن هنا تأتي مهمة الممارسة النقدية الثقافية، حيث أنها تنتقل من اهتمامها بنقد النصوص إلى نقد الأنساق الثقافية، والتي تعد نقلة نوعية تتوسل بالنص لتكشف عبره "حيل الثقافة في تمرير أنساقها"17، وبذلك تسعى هذه الممارسة إلى تحريك السكون الذهني الذي ظل يمر عبر العصور ويمارس هيمنته علينا بدون رقابة نقدية.

في سؤاله عن ماهية النسق الثقافي؛ يؤكد (عبد الله الغذامي) بأنه مصطلح مركزي ضمن مشروع النقد الثقافي، وقد حدد الناقد في دراسته هذه أسس بناء هذا الأخير، ضمن عناصر أهمها: أن النسق يتحدد "عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد"18، والوظيفة النسقية يحصرها بأربعة شروط كالتالي: وجود نسقان متعارضان معاً في نص واحد "أحدهما ظاهر والآخر مضمر"19، ويكون " المضمر منها ناقضاً ومضاداً للظاهر"20، ويشرط (الغذامي)أن يكون النص جماليا، ليس بالمعنى المؤسساتي؛ وإنما ما "اعتبرته الرعية الثقافية جميلا "21، بحيث " يحظى بمقروئية واسعة

"22، وهذا يتماشى مع رؤيته النقدية التي يسعى من خلالها للكشف عن "حيل الثقافة في تمرير أنساقها "23، خلف الجمالي الجماهيري، لما للنسق " من فعل ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي "24، فالنص بمقاييس (الغذامي) النقدية يُقرأ "بوصفه (حادثة ثقافية)،وبالتالي تكون الدلالة هي الأصل النظري للتأويل"25.
فالدلالة المضمرة التي يتسم بها النسق تكتبها الثقافة"وتغرسها في الخطاب وجماهيرها هم مستهلكوها من كتاب وقراء "26. وكون النسق الثقافي ذو طبيعة سردية "فهو خفي ويستخدم أقنعة كثيرة،وأهمها قناع الجمالية اللغوية"27، كما أنه يتصف بكونه "تاريخي وأزلي وراسخ، وله الغلبة في تحييد حاجات الناس تحت أغطية جمالية وبلاغية،وهو بنفس الوقت يوجه السلوك الاجتماعي العام "28، فالذات متحيزة لثقافتها تلقائيا.

وبهذا فإن النسق راسخ في المضمر الجمعي للأمم، كما أنه يبرع في التخفي وجذب الانتباه، ومن تم يساهم بطريقة لاواعية في بعث الرغبات وتشظيها،فيُحدث بذلك " انقساما بين الوعي الظاهر المنضبط وبين الرغبات(...)الخفية،ويقود إلى ازدواج مكشوف في السلوك والعلاقات والمواقف"29.
وفق رؤية (الغذامي عبد الله) فإن النسق لا يتحرك بفعل الإبداع فحسب، بل يتم ترسيخه عبر القراءة وأفعال الاستقبال والتذوق الجماهيري، فالثقافة بأنساقها تعد فضاءً رمزياً مشبعاً بأنماط السلوك التي تصوغ الهوية العامة للمجتمع، الذي يتعامل معها على أنها مؤلف ذو كيان رمزي يتجسد في أفكار المؤلف والتي مهما حاول أن ينفك منها، فإن "أفكاره ومواقفه سوف تنتظم وفق أطر كبرى تعمل على صوغ منظوراته،بمعنى أن المؤلف هو نتاج (المؤلف الثقافة) والذي يتدخل باستمرار في تعديل ما يفكر به (المؤلف الفرد) وينتجته "30.

بالنظر إلى طغيان النسق على اللاوعي الجمعي؛والذي ينعكس بدوره على سلوك الأفراد (مبدعين أم قُراءً)، فهل تمتلك الذات الفاعلة إرادتها الحرة في إعادة تقييم النسق انطلاقا من وعيها بهيمنته؟ أم أنها تذوب في المنظومة الثقافية باختيارها؛رغم إدراكها بتأثيراته؟ وبصيغة أخرى:هل يمكننا ترميم الأنساق الثقافية باعتبارها ذات بعد تأثيري تاريخي وأزلي راسخ، أم أن هذا الجهد النقدي الواعي يبقى محدوداً أو جزئيا تحكمه أطراف خارج إطار الذات؟

ـــ مصير الذات الفاعلة في مواجهة هيمنة الأنساق الثقافية:

يتساءل الناقد (عبد الفتاح أحمد يوسف)في كتابه الموسوم ب:(**قراءة النص وسؤال الثقافة)** حول طبيعة هروب سؤال الثقافة داخل النص الأدبي، وعما إذا كان القارئ هو المسؤول عن هذا الهروب، أم أن النظريات النقدية ذات البعد المعرفي المحدود هي من قصرت في هكذا مساءلة، باستثناء (النقد الثقافي) ضمن دراساته البينية، والتي تتعايش مع العديد من روافد المعرفة الإنسانية، وتفتح آفاقا نقدية جريئة ومغايرة، تتعامل من منطلقاتها مع النص الأدبي على أنه (حادثة ثقافية) تتمظهر فيها الأنساق وتمارس هيمنتها عبر العصور.
فسؤال الثقافة برأي الناقد (عبد الفتاح أحمد يوسف) لا يهرب "خوفا على حريته؛ لأنه مستبد بطبعه، يهرب لأنه سيكشف عن عيوب ثقافية وأخلاقية داخل النص تزعج الوعي(...) بشكل عام عندما يجد نفسه في مواجهة مع عيوبه وانجراحاته"31.
تلك العيوب التي طالما اكتست طابعا إلزاميا فُرض على المنتمين للمنظومة الثقافية بسبب أحكام العرف الاجتماعي، والذي صار ضمن المألوف الذي لا يمكن التحرر من هيمنته أو إلزاميته.

يتجاوز (سؤال الثقافة) الحكم السطحي على بنية النص اللغوية، حيث يمتد إلى استقصاء الهامشي والمُغيب، ومن تم يكشف عن خلفيات "التحوير،والخداع، التي تمارسها الإيديولوجيات الثورية من خلال خطابها الشمولي"32. مما لاشك فيه بأن كل خطاب يستهدف مقصدية تستثير وعي المتلقي (القارئ)، فإذا كانت تم علامات لغوية ظاهرة في أي عمل أدبي؛ فإن الأنساق الثقافية توظف بشكل مضمر، وفق ما يتصل بتصورات معينة اتجاه بعض المواقف والممارسات، وبالتالي تحيل إلى موقف ثقافي ما.

من أجل ذلك يعمد الناقد الثقافي في مساءلته للنص،إلى الانفكاك قدر الإمكان من هذه النمذجة وهيمنتها، حيث أنها تقلص من استيعاب الآفاق الفكرية الجديدة،إذ تتجه (الذات القارئة الفاعلة) نحو التوافق مع تعددية المعنى الذي يستمد قوته وحضوره من الثقافة بلغة مراوغة " يزداد ثراؤها بتنوع المداخل والمنطلقات لقراءتها "33.

فالوعي الثقافي للقارئ يمكنه من إدراك البعد التأويلي داخل النص الأدبي في ظل تفاعله مع الثقافي، ويجعله في حالة من المساءلة الدائمة،حيث يمكنه من "الكشف عن الأفق المتحرك للثقافة داخل النصوص الأدبية "34، ولكن الإشكال الذي يطرح نفسه هنا،هو في إمكانية تقبل جمهور المتلقين لنمط مختلف من القراء "يخرج بعملية القراءة عن السنن والشرائع الأدبية المتعارف عليها (...) يطور بلا شك أدوات النقد والتقويم"35.

فالأنساق الثقافية بالغة الأثر في وعينا من حيث هيمنتها علينا إذ تجعلنا "رهائن تتحرك في حدودها ولا تتجاوزها، ووعي الذات المبدعة بذاتها أولا، وبهذه الأنساق ثانيا يجعلها قادرة على ممارسة المساءلة والملاحظة والرصد، تراودها رغبة في إصلاح المجتمع، وإعادة صياغة أنظمته"36، ولكن؛ على الرغم من توافر هكذا ملكة نقدية واعية (للذات الفاعلة)، تظل الأنساق الثقافية تمارس هيمنتها على نحو ما في المبدع بوصفه مرجعية من مرجعيات الثقافة الجمعية ،فالنسق كما حدده (عبد الله الغذامي) متجذر في اللاوعي الجمعي، وتاريخي، وأزلي، يتحقق " بوجود نظام ينغرس في وجدان المجتمع،ويتغلغل داخل ذاكرته ولم يلبث أن يسيطر عليها. لأنه ينبني من تراكم أثر على أثر في العقل الجماعي"37، وبالتالي يملك سلطة التأثير على أفراد المنظومة الثقافية، ويتحكم في سلوكياتهم وردود أفعالهم " لذا تبدو الذات في النسق مفتتة،لا تعي هويتها الفردية،لأنها في أثناء بحثها عن هويتها تصطدم بشبكة من الأطر والمعارف الجماعية فتتأرجح بين الانتماء إلى النسق، أو الانتماء إلى الذات، أو الانتماء إلى الجماعة بوصفها ملاذا أو مأوى، أو اعتناق الفكر الخصوصي الفردي"38، فالنسق الثقافي إذا يهيمن للدرجة التي "لا هم له سوى أن يجعل من قيمه أقنعة لأفكار متتالية توهم الذات بأنها السبيل للحياة"39.

إن تمرير الأيديولوجيات نسقيا له الأثر البالغ على "تغييب فردية الإنسان في أعماق ضمير جمعي قابل لأي تأويل هو "نحن" مكان الخصوصية فيه محفوف بالمخاطر، ولهذا تخضع الذات غير المتسائلة لهذه الأنساق، ويتخذ النسق من "الأصالة"، "القيم"،"التقاليد" لعبة التشويش على الذات ومرجعيتها، فنجد أنفسنا أمام "خرافة" أو "أكذوبة" تسعى إلى تكسير الوعي بالذات وزعزعة ثقتها في إمكانياتها وقدراتها"40، وهذا ما يظهر بصفة مخاتلة في الخطابات المؤسساتية ذات البعد الثوري التي تحمل ادعاءات الحرية والمساواة في الظاهر في حين أنها تضمر أساليب قمعية أو تروج لها مثل خطابات الكولونيالية والشعارات الحقوقية لتحرير المرأة والمساواة ...فجميعها تنطلق من خلفيات فلسفية تدعمها أطراف وحركات،معينة تستهدف وعي فئة ما تندرج ضمن المنظومة الثقافية والتي تروج لإيديولوجياتها من خلال تمرير أنساقها،وهذا يحدث لنا "في وقت واحد، حيث نستهلك خطابات الهيمنة ونمثلها في تناقض تام مع ما نؤمن به صراحة"41.

فالمسؤولية النقدية تقع على عاتق (الذات الفاعلة) في تحديد توجهاتها، والخروج من حالة الكبت والاستلاب الفكري الذي تفقد فيه قدرتها على صياغة وعي معرفي مغاير،يتخطى الحواجز العرفية للثقافة السائدة نحو التحرر من التبعية لمنظومة الأنساق المهيمنة، فتتجه بعد نضجها في تحديد وجهتها والبحث عن تفردها " وسط كم متراكم من الأنساق والإيديولوجيات، فتبدأ في التمرد - نتيجة ازدواجية الفكر النسقي- تمرد على التبعية، تمرد على الأسر والاستبداد"42. هكذا تعي (الذات الفاعلة) نفسها وتدرك الثقافة الجمعية، وعلى الرغم من حالة الوعي النقدي هذه فإن إطلاق سراحها من أطر ثقافتها لا يعني بالضرورة تجردها التام من "إرثها الثقافي الاجتماعي،لأنها تشكلت -ثقافيا- من هذا الإرث، بل يعني قدرتها على ممارسة المساءلة (...) تراودها رغبة في إصلاح الجماعة بنقلها فكريا من حالة اللاوعي إلى حالة الوعي، أو من حالة الإدراك العقلي التلقائي العفوي إلى الإدراك الفعلي الإرادي"43.

يملك الناقد الثقافي حسا واعيا ينطلق من ذات طموحة، متسائلة باحثة عن التفرد في مواجهة مركزية الأنساق الثقافية المتحكمة في صياغتها للمعايير والقيم الجمالية والأخلاقية والسياسية، وتقرر مصيرها وتوجهها الفكري بإرادتها الحرة، رغم استبداد الثقافة على اللاوعي الجمعي الذي يتفاوض مع اللغة " الأمر الذي يتطلب مناقشة العلاقة بين المبدع والجماعة، والمبدع واللغة التي يعبر بها؛ تتورط تورطا عميقا مع السلطة سواء أكانت اجتماعية أم سياسية ولهذه الأنساق قيمة جمالية وقيمة فكرية لا يمكن التغافل عنها "44.

هذا النوع من المساءلة الجريئة -غير المألوفة- يندرج ضمن (الثقافة المضادة) التي تفتح أفقا معرفيا معاديا للثقافة الجمعية، الأمر الذي يحول بين الذات وبين انتماءاتها، فالآخر المختلف يشكل خطرا لا تتقبله الثقافة المهيمنة،ويغدو هذا الوضع النقدي تهديدا مباشرا لمنظومة الإرث الثقافي،فعندما "تعلن الذات عن تمردها على الأنساق السائدة تعلن-

في المقابل- هذه الأنساق تخليها عن هذه الذوات المتمردة ،بل وطردها من جنتها لتعاني من العزلة(...)ويكون هذا الإعلان تشويشا إضافيا على هذه الذوات،لأن الذات الفاعلة أو الواعية لا تحقق أهدافها وسط هذه الأنساق إلا من خلال مصداقية مرجعية "45.

إن مسألة التغيير التي تطرحها (الذات الفاعلة) على واجهة الحوار النقدي الثقافي المعاصر ومحاولات ترميم الأنساق الثقافية التي ظلت تمارس هيمنتها لمدة زمنية لا يستهان بها دون رقابة نقدية، تظل مرتبطة بإستراتيجية القراءة ومدى استيعاب (الذوات الفاعلة) لطبيعة الصدام المعرفي الذي سيواجهها من خلال وعيها النقدي المضاد للسائد والمتعارف عليه.

فالقارئ الناقد باحث واع بهيمنة الخطابات المؤسساتية التي تصاغ على هيئة نصوص إبداعية جمالية، بالرغم من أنه لا يملك -في بعض الأحيان- إرادة التحرر من الإرث الثقافي،بوصفه نزوعا إنسانيا متجذرا في بنية تفكيره بطريقة لاواعية مهما بلغت درجة وعيه،ولكن حسه النقدي وذائقته الواعية ستوجه جل اهتمامه "حول دراسة الحقائق السوسيولوجيه بمستوياتها المكونة لها، والكشف عن الأفق المتحرك للثقافة داخل النص"46.

يظل هذا الجهد النقدي مرتبطا بطبيعة العقلية الثورية التي تمتلكها (الذات الفاعلة) رغم مراوغة الثقافة لها" لأن اللاوعي الثقافي يخاف على الذات أو المصير من التغيير، مما يسهم في ظهور فوبيا ثقافية ضد أي فكر مخالف لما هو متداول أو سائد"47، فالأمر نسبي وليس مطلقا أو مستحيلا؛فالعقلية الناقدة الواعية -حتى وإن انقطعت مسيرتها- عند محطة ما، فشرف المحاولة يبقى كافيا لها،كما أن جهدها النقدي يفتح آفاق الوعي لذوات فاعلة أخرى،تتميز بنفس الحس النقدي مقرونا بمتغيرات العصر، في ظل الصدام المعرفي المتسائل،والذي قد يؤدي إلى تنامي الرؤى وتعددها ضمن منظومة الثقافة الإنسانية.

ـ خـــــــاتمة:

نخلص في خاتمة هذا البحث إلى جملة من النتائج نوجزها في التالي:

ـ تهدف آلية الطرح الواعي والتي يتبناها النقد الثقافي إلى الكشف عن الأنظمة والأعراف الثقافية، الكامنة داخل منظومة النص اللغوية، باعتبارها راعيا للإرث الإنساني.

ـ إن عملية فهم الوظيفة الأساسية للثقافة والمتحكمة في صيرورة القيم تتطلب ذاتا واعية ناقدة تملك ذائقة مرنة تتعارض مع أشكال العنصرية الثقافية ومتيقظة لأنماط التشكيل الإنساني بكل تداعياته.

- النسق الثقافي يعبر عن نزوع إنساني متجذر في بنية اللاوعي الجمعي، مما يشكل صداماً معرفي يتعارض مع التراكم الفكري الثقافي.

- القراءة الثقافية الواعية تهدف إلى إنعاش العقل وتحريره من سلطة الأنساق المهيمنة التي ظلت تمارس تأثيرها لزمن طويل دونما رقابة.

- مهمة (الذات الفاعلة) في ظل الإنعتاق من هيمنة الأنساق الثقافية تبقى مقترنة بتنامي الوعي، والتعايش مع الرأي المضاد، وهذا قد لا يتحقق إلا بشكل نسبي في ظل الهيمنة الثقافية.

ـ الهـــوامش:

1-آرثر آيزا برجر، النقد الثقافي(تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية)، تر:وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1 ، 2003، ص192.

2 -أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مجلد10، دار صادر، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت، ص352-353(مادة نسق).

3-أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت-لبنان، ج5، 395هـ،ص420،(مادة نسق).

4- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي(قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، لبنان- بيروت، ط2005،3 ،ص76.

5-ضياء الكعبي، السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل)،ط1، 2005، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ص22.

6-ضياء الكعبي،السرد القديم (الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل)،ص23.

7- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي(قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، لبنان- بيروت، ط2005،3 ،ص138.

8- ضياء الكعبي، السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل)،ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان،2005 ، ص23.
9- عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة(استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى)، جدار للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث،عمان- الأردن، ط1، 2009، ص62.
10- عبد الفتاح أحمد يوسف،قراءة النص وسؤال الثقافة(استبدد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى)، ص96.
11- يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي(الشعر الجاهلي أنموذجا)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2004، ص40.
12-نادر كاظم، تمثيلات الآخر(صورة السود في المتخيل العربي الوسيط)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 2004، ص102.
13-عبد الله الغذامي، عبد النبي إصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط1، 2004، ص40.
14- نادر كاظم، تمثيلات الآخر(صورة السود في المتخيل العربي الوسيط)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 2004، ص97.
15-إسماعيل خلباص حمادي، النقد الثقافي(مفهومه، منهجه، إجراءاته)، مجلة كلية التربية، واسط- العراق، العدد 13،2013، ص80.
16- عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، د.ط، د.ت، ص140.
سؤال الثقافة ص51.
17- عبد الله الغذامي، عبد النبي إصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط1، 2004، ص41.
18-حسين السماهيجي وآخرون، الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 2003، ص46.
19- حسين السماهيجي وآخرون،الغذامي والممارسة النقدية الثقافية، ص46.
20- المرجع نفسه، ص46.
21- نفسه، ص77.
22-حسين السماهيجي وآخرون، الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 2003، ص46
23__ عبد الله الغذامي، النقد الثقافي(قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، لبنان- بيروت، ط3،2005 ،ص77.
24- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي(قراءة في الأنساق الثقافية العربية) ص78.
25- حسين السماهيجي وآخرون، الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 2003،ص46.
26- حسين السماهيجي وآخرون، الغذامي والممارسة النقدية الثقافية،ص46.
27-المرجع نفسه ص46.
28- نفسه ص46.
29-حسين السماهيجي وآخرون، الغذامي والممارسة النقدية الثقافية، ص 46.
30-المرجع نفسه ص45.
31-عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة(استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى)، جدار للكتاب العالمي ،عالم الكتب الحديث،عمان- الأردن، ط1، 2009، ص2.
32- عبد الفتاح أحمد يوسف،قراءة النص وسؤال الثقافة(استبداد الثقافة ووعي القاريء بتحولات المعنى) ،ص3.
33-المرجع نفسه ص3.
34- نفسه ص4
35- عبد الفتاح أحمد يوسف،قراءة النص وسؤال الثقافة(استبداد الثقافة ووعي القاريء بتحولات المعنى)، ص4
36-المرجع نفسه ص81.
37- نفسه، ص79.
38- عبد الفتاح أحمد يوسف ،سؤال الثقافة(استبداد الثقافة ووعي القاريء بتحولات المعنى)،ص 80.
39- المرجع نفسه، ص79 1
40- نفسه، ص79.
41-عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي(قراءة في الأنساق الثقافية)، المركز الثقافي العربي ، لبنان- بيروت، ط1، 2005، ص248
42-عبد الفتاح أحمد يوسف،قراءة النص وسؤال الثقافة (استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى)،جدار للكتاب العالمي،عالم الكتب الحديث،عمان- الأردن،ط1،ص81.
43- عبد الفتاح أحمد يوسف،سؤال الثقافة(استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى)، ص82.
44- عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، د.ط، د.ت، ص140.
45- عبد الفتاح أحمد يوسف،سؤال الثقافة(استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى)، ص81.
46- المرجع نفسه، ص 10.

47- عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، د.ط، د.ت، ص54-55.

ـــ المصادر والمراجع:

المعاجم:

- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت-لبنان، ج5، 395هـ.
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مجلد10، دار صادر، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت.

المراجع:

- آرثر آيزابرجر، النقد الثقافي(تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية)، تر:وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003.
- إسماعيل خلباص حمادي، النقد الثقافي(مفهومه، منهجه، إجراءاته)، مجلة كلية التربية، واسط- العراق، العدد 13،2013.
- ضياء الكعبي، السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل)،ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان،2005.
- عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، د.ط، د.ت.
- عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة(استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى)، جدار للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديث،عمان- الأردن، ط1، 2009.
- عبد الله الغذامي، عبد النبي إصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط1، 2004.
- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي(قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، لبنان- بيروت، ط3،2005.
- نادر كاظم، تمثيلات الآخر(صورة السود في المتخيل العربي الوسيط)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ط1، 2004.
- يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي(الشعر الجاهلي أنموذجا)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2004.